

تفسير ابن كثير

يرشد تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الأبصار مما في السموات من كواكب نيرات وثوابت وسيارات والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ثم يقصر هذا ويطول هذا وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أفانين الثمار والزرع والأزهار وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر من العجائب والأمواج وهو مع هذا مسخر مذل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : { وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون } أي وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسائل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون } الآية وقوله : { فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم } أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النعمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسولهم { قل فانتظروا إنني معكم من المنتظرين * } ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا { أي ونهلك المكذبين بالرسول } كذلك حقا علينا ننج المؤمنين { حقا أوجب الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله : { كتب ربكم على نفسه الرحمة } وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي]